كتاب الجيم

الصورة بعدسة ميشال صايغ

جمانة حداد شاعرة وكاتبة ومترجمة وصحافية لبنانية، تعمل مسؤولةً عن الصفحة الثقافية في جريدة «النهار» اللبنانية، ورئيسة تحرير مجلة «جسد» الثقافية المتخصصة في آداب الجسد وعلومه وفنونه.

أصدرت مجموعات شعرية عدّة نالت صدى نقدياً واسعاً في لبنان والعالم العربي، كما تُرجم معظمها إلى لغات أجنبية. أجرت سلسلة من الحوارات الشاملة مع مجموعة كبيرة من الكتّاب العالميين، من أمثال ماريو فارغاس يوسا، أومبرتو إكو، جوزيه ساراماغو، باولو كويلو، بول أوستر وآخرين. تتقن سبع لغات، ولها ترجمات لعددٍ من الأدباء العرب والعالميين، أبرزها أنطولوجيا الشعراء المنتحرين في القرن العشرين (الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، 2008).

حازت جائزة الصحافة العربية في دبي عام 2006، وجائزة «شمال جنوب» العالمية للشعر في ايطاليا عام 2009، وجائزة بلو ميتروبوليس للأدب العربي في مونتريال سنة 2010. وفي مناسبة «بيروت عاصمة عالمية للكتاب» لسنة 2009، اختيرت واحدة من الكتّاب العرب الأكثر موهبة ما دون التاسعة والثلاثين.

من أعمالها «عودة ليليت»، «مرايا العابرات في المنام»، «صحبة لصوص النار» و«النمرة المخبوءة عند مسقط الكتفين». صدر كتابها «هكذا قتلتُ شهرزاد» في اثنتي عشرة لغة حول العالم.

روابط ذات صلة:

http://en.wikipedia.org/wiki/Joumana_haddad
http://ikilledscheherazade.com
http://twitter.com/Joumana333
http://jasadmag.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

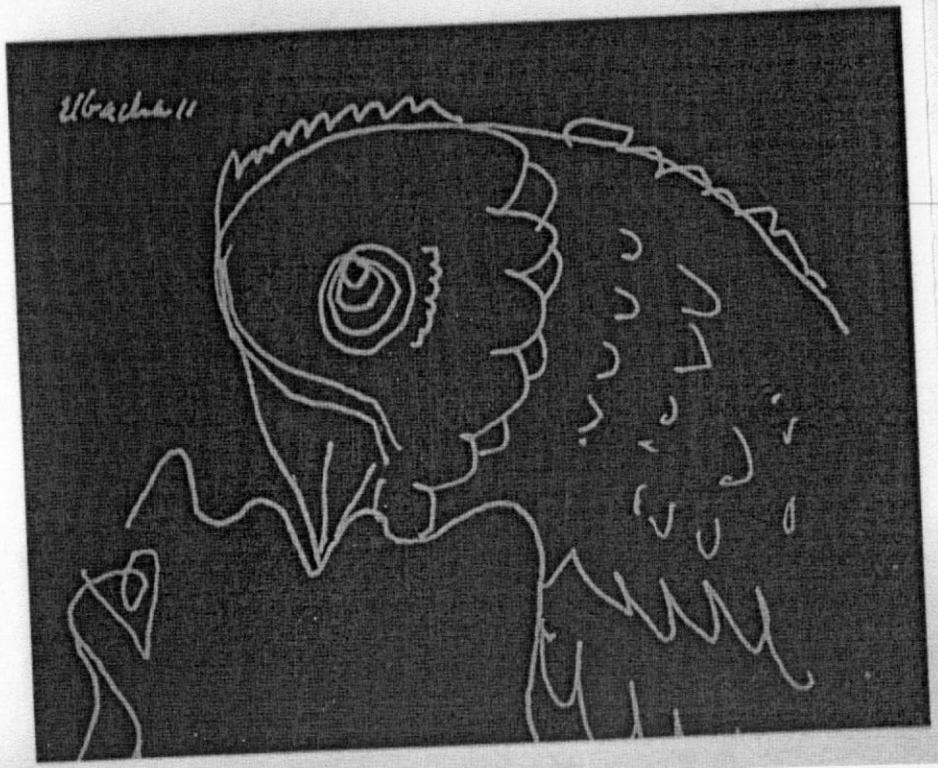

كتاب الجيم
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كتاب الجيم

جمانة حداد

ع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية
ا فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر
أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0277-4

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1–961+)
ص.ب: 5574–13 شوران – بيروت 2050–1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1–961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

ن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

إلى احتمالاتي
متحقّقةً ومجهضة

أحتفي بنفسي، أغنّي ذاتي
وما أعانق سوف أنتم تعانقون
لأنّ كل ذرّة مني
حتماً هي ذرّة منكم
والت ويتمان

آه يا شبيهي الأكثر كمالاً مني
آه يا نرسيس، أيها الخالد العابر
لا حورية تجذبني
مثلما تفعل أنت، يا أنايَ التي لا تنضب
بول فاليري

أنا لستُ شيئاً
أنا لن أكون شيئاً يوماً
ما عدا ذلك، أحمل في أنايَ كل أحلام العالم
فرناندو بيسوا

المحتويات

جيولوجيا الأنا 11

أنا سرابي 25

أنا قصيدتي 33

أنا وحدي 47

أنا أمّي 57

أنا حرامي 61

الأنا في الأربعين 69

جيولوجيا الأنا

أنا اليومُ السادسُ من شهر كانون الأول من سنة ألفٍ وتسعمئةٍ
وسبعين
أنا الساعةُ الأولى بُعيدَ الظهر
صرخاتُ أمّي تلدني
صرخاتُها تلدها
رحمُها تقذفني لأخرج منّي
عَرَقُها يحقق احتمالي

أنا صفعةُ الطبيب التي أحيتْني
(كلّ صفعةٍ لاحقة حاولتْ إحيائي قد أرْدتني)
أنا عيونُ العائلة عليَّ
حدقاتُ الأب والجدّ والعمّة والخالة
وأنا المَشاهدُ المحتمَلة

أنا الستائرُ تنزاح والستائرُ في الوراء والجدرانُ في الوراء
أنا التي لا اسمَ ولا يدَ لكلّ ما هو وراء

أنا التوقعاتُ المرجوّةُ منّي الأحلامُ المجهضةُ الفراغاتُ المعلّقةُ
تمائمَ حول عنقي
أنا المعطفُ الأحمرُ الضيّقُ كلّما ارتديتُه بكيتُ
أنا كلُّ ضيّقٍ لا يزال يبكّيني
أنا الدميةُ ذاتُ الشعر الكستنائي والعينين البلاستيكيتين
أنا الدميةُ المنبوذةُ تلك وقد رفضتُ أن أهدهدني
المنبوذةُ تلك ولا تزال تنزّ دماً في قعر الرأس
(قطرتين في اليوم العادي، وثلاثاً أيامَ العطل والأعياد)

أنا
الثقبُ الحزين في جوارب معلّمتي
لا يزال يحدّق فيّ كعتاب هابيل في ضمائري

يحدّق ليروي فقرَها وقلّتي
نفادَ صبري وإرهابَ يأسها من الحياة

أنا جدولُ الضرب
ولم أتقنه حتى الساعة
أنا الإثنانُ المجموعُهما واحد، دائماً واحد
أنا نظريةُ الخطّ الموارب، الموارب دائماً
أنا كرهي للتاريخ للجبر والفيزياء
أنا إيماني طفلةً بأن الأرض تدور حول قلبي
- وقلبي حول القمر.

أنا كذبةُ بابا نويل
والى اليوم أصدّقني
أنا كذبةُ الله
وما عدتُ أصدّق

أنا
رائدةُ الفضاء التي كنتُ أحلم بأن أصير
تجاعيدُ جدّتي المنتحرة
جبيني متكئاً على حضنها الناقص
أنا الصبيّ (هل كان اسمه جاك؟) الذي شدّني من شعري ولاذ بالهرب
أنا الذي أبكاني فأحببتُه أكثر
أنا
قطّتي الصغيرة
درّاجةُ ابن الجيران التي دهستني ولم أحتجّ
(قد بعتُ أرواح قطّتي لقاءَ نظرةٍ من ابن الجيران الوسيم هذا)

أنا الابتزازُ فاتحةُ رذائلي
أنا الحربُ
أنا جثّة الرجل التي جرجرها المقاتلون أمامي
ورجله المخلوعة تحاول اللحاق به

أنا الكتبُ التي لا تلائمني طفلةً وقرأتها
(والتي الآن أكتبها ولا تلائم)

أنا مراهَقةُ نهديَ الأيمن
أنا حكمةُ الأيسر
جبروتُ النهدين تحت القميص الضيّق
ثم وعيي لجبروتهما:
بدءُ الانحدار

أنا مللي السريع سيكارتي الأولى عنادي المتأخّر
أنا الفصولُ مرّتْ
الحنانُ أحمله رغماً مني؛ وجشعي؛ وغياباتي الملأى بموتايَ؛
وأنا موتايَ اللاّينامون؛
وقتلايَ اللاّينامون؛
وأنا زفراتُهم الأخيرة على وسادتي كلَّ فجر

وأنا
تأفّفي؛ وعدوايَ؛ وخطري؛ وهربـي من جبنٍ إلى أسوأ؛
أنا انتظاراتي اللاّتَفْهَمُ الوقتَ؛ واللاّتَفْهَمُ المسافة؛
أنا صمتي الذي تعلّمتُ؛ وصمتي الذي لم أتقن بعد؛
وحدتي تدبّ فوق روحي كحشرة.

أنا كارثةُ الحب
وأقع

أنا ذئابُ الشعر تركض في دمي
أنا حافيةً معها أركض
أنا الباحثةُ عن صيّادها
لا
تجد
صيّادها

أنا مياهي تفور كلّما شهوتي أومأتْ الى شهوتي
أنا تَعاقُبُ الألسنة ترتوي بفورانها
أنا حمرةُ شفاهي مستبقةً جوع الألسنة
أنا أيضاً: أظفاري.
وما تحتها. وما به تنوء:
ذاكرةُ جروحها
ذاكرةُ حنقها
ذاكرةُ ضعفها
ذاكرةُ قوتها التي لا تحتاج الى برهان
وأنا قطعُ اللحم الصغيرة التي غنمتُ من ظهورهم في كلّ نشوة

أنا
أسناني
فخذايَ الشهيتان
ورغباتٍ داعرة

أنا ذنوبـي
وكم أحبّها
وأنا ذنوبـي
وكم تشبهني

أنا عمودي الفقري نابحاً
في وجوه الغادرين
وصديقتي التي خانتني
وشكراً

أنا عيناياَ تريان في العتمة التي عتمتي
أنا وجعي- نعم وجعي -
أنا صرختي في المنتصف
(أكتمها في اللحظة المناسبة)
أنا ما يقولون لي ألّا أقول
ألّا أحلم
ألّا أفكّر
ألّا أجرؤ
ألّا آخذ.
أنا ما يقولون لي ألّا أكون.

أنا ما أخفيه
ما لا أريد أن أخفيه ولكنْ أخفيه
ما أريد أن أخفيه
ولا

أنا
"قلْ لي كم تحبّني"
وأنا "لا أصدّق"
أنا الرأسُ موصولاً بالجسد مفصولاً عن الجسد
وأنا موتي المبكر
- أقول ذلك بلا دراما -
وما سأخلّفه ورائي من خراب
من أشياء صغيرة تافهة تفضح:
البطاقاتُ البريديـة قصاصاتُ الرسـائل الكتابـاتُ تحـت زجـاج
الطاولة ابتساماتي في الصور القديمة

أنا مجموعُ الرجال الذين أحبّوني ولم أحببهم،
أنا الذين أحببـتُهم ولم يحبّـوني، والـذين لم أحبـبهم ولم يحبّـوني،
والذين توهمتُ أني أحبهّم، وتوهموا أن لا يحبّوني
أنا مجموعُ الرجل الواحد
الذي
سوف
أحبّ

أنا المرأةُ تدمع صورتها في صورة عرسها (في الصورة فقط)
أنا انكساراتي وهزائمي والبطولات الباطلة
أنا نجاتي من الغرق في أحد الأيام (إذا كنتُ حقاً نجوت)
أنا عفونةُ كسرةِ خبز فوق مائدتي
أنا الأسماكُ والطيورُ والأشجارُ وغبارُ المصانع واسفلتُ الطريق
وصفيرُ القذائف
وأنا الرياحُ والعناكب ولحم الثمار
أنا كلّ بركانٍ على رأس كلّ جبلٍ من كلّ بلدٍ فوق كلّ قارةٍ في كلّ كوكبٍ
في كلّ حفرةٍ في قعر كلّ أرضٍ من كلّ بلدٍ فوقَ كلّ قارةٍ في كلّ كوكب

أنا الأيامُ السبعة ومئاتُ السنين التي لزمتني لأخلق نفسي
أنا اللحظةُ لزمتني
لأدمّرني

وأجسادي
وشوارع مدينتي الرطبة
أنا مَن كانت
وأنا مَن كان يمكن أن تكون

أنا الفستانُ الأزرق حين امتنعتْ أمي عن شرائه لكي تسدّد أقساط المدرسة
وأنا مكتبةُ أبي وعيناه ونزقُ قلبه
أنا النظراتُ التي لم أمنحْ الكلماتُ التي لم أقلْ الشفاهُ التي لم أقبّلْ
وما لن أخلّفه ورائي:
كلُّ حماقةٍ لم أرتكبها
كلّ ذهابٍ لم أعد منه

أنا ابنتي التي لم ألدها
وقد

أنا المرأةُ التي سوف أكون
أنا تلك المرأةُ تقريباً
أنا تقريباً ذلك الرجلُ
الرجلُ ذاك الذي نجحتُ في ألاّ أكونه تماماً
وينقذني منّي كلَّ يوم

أنا مَن لستُ عليها الآن
الأشياءُ والناسُ الذين كنتهم أمس
ومَن أكونهم في الغد
ويصنعونني.

أنا سرابـي

الوجه الذي في المرآة سراب
المرآة التي في الوجه سراب
همس نافذة تنفتح سراب
فكرة أن أمس كان وأن غداً سيكون سراب
حركة المدّ والجزر سراب
ضربات القلب سراب
الشفتان إذ تنصهران سراب
العينان إذ تجرحان إذ تنجرحان سراب
الصراخ الأبكم سراب
الجنون الهادئ سراب
الوعي سراب
الحكمة سراب

التيه سراب
كلّ بركان يستيقظ سراب
ما في اليد سراب
ما ليس في اليد سراب
ما نودّ أن يكون سراب
لون النسيان سراب
لون التذكّر سراب
أنْ نتأخّر سراب
أنْ نصل في الوقت المناسب سراب
أنْ نكتب لنقول سراب
ألاّ نقول شيئاً سراب
أنْ نكون وحدنا سراب
أنْ لسنا وحدنا سراب
وأنْ نختفي، وأنْ نعود، وأنْ نضيع، وأنْ نجد
وأنْ نكافح، وأنْ ننال، وأنْ نفقد، وأنْ نُفتقَد

وتلك الرغبات، وذلك الندم
وهذا التوق، وتلك الحمّى
وذلك الجموح، وهذا الشفاء
ونَفَس الرجل الذي أحببنا
والنار التي تلتهم الأحشاء
وما نتبع وما لم يعد يتبعنا
وما نلمس وما نشتهي أنْ
وأنْ نرتجف
وأنْ نخترق
وأنْ نُخترَق
وأنْ نقع
وأنْ ننهض
وأنْ نمشي

وأنْ نؤمن بأنّ بعد الخطوة خطوة ثانية، وبعد الجوع امتلاءً، وبعد الإعصار شمساً، وبعد الحريق طوفاناً، وبعد الحياة جنّة، وبعد النوم يقظة، وبعد البعد بعداً

وسراب أيضاً: أن سوف تتحسّن الأمور، وأن الله موجود، وأنه غير موجود، وأن الأرض قارّات وبلدان وشعوب، وأن الكون كواكب وأقمار ونجوم، وأن الهاويات امتلاءات وفراغات، وأن الفصول هي الفصول، وكلّ ما نظنّ يصنعنا: دموعنا، أحلامنا، كوابيسنا، صباحاتنا، حماستنا، أفكارنا، أقنعتنا، عفويتنا، كلماتنا، أذرعنا، رقّتنا، ابتساماتنا للغرباء، قبلاتنا، أحقادنا، غباؤنا، مكرنا، سذاجتنا، دهاؤنا، خياناتنا، خيالنا وغاباته، جسدنا وشهواته، جمالنا وزلاّته، ضعفنا وأخطاؤه.
وأخطاؤنا.

الأكيد سراب.
الـ"ربما" سراب.

الخيال سراب.
الواقع سراب:
ما نمسك به لم نجده بعد.
ما ننساه
لم نتذكّره مليّاً.
ما نستطيع إرجاعه
لم نملكه يوماً.
ما لا نستطيع إرجاعه
لن نملكه يوماً.
ما نستطيع وصفه
لم نره قطّ.
ما نستطيع محوه
لم يكن مكتوباً.
ما نستطيع كتابته
لم يكن مستعصياً.

ما نستطيع تفسيره
لم نفهمه البتّة.
ما نستطيع سرده
لم نعش منه شيئاً.
ما صمدنا بعده
لم يكن قطّ.

شحّاذو الأوهام نحن. بها نقتل الوهم، الوقت، الوعي، الخوف، القلق، المرض، اليأس، الحرب، الجبن، الحقد، الغيرة، الشوق، الرعب، الفجيعة، المسافة.
بها نقتل موتنا
تقريباً.

واللحم سراب. كم من غبار مكنوس تحت هذا اللحم! الصرخات المخنوقة، الأحلام المجهضة، السقطات المكتملة، الضحكات الناقصة، احتمال أن ثمة احتمالاً ولا: غبارٌ غبار، وندوبنا الناتئة أبجديته. التي باللمس تُقرأ، كلغة العميان. أعني: لغة الأحياء. ندوب لا تنفكّ تتكرّر، ولعلها ندبة واحدة. تمرّ كجريمة تعيد نفسها. وتطعن. وتصيب. وتجرح. وتميت. والأنكى: تقيم من موت. وما بعد الموت سوى موت آخر، حتى يسكت الوحش.

وسرابٌ أنْ لم أشبع منكِ أيتها الحياة. ها أنا الحيّة أصرخ في وجهكِ أن منكِ شبعتُ. ومنّي شبعتُ. ومن أني دائماً أريد أكثر. ومن أنهم أكثر يريدون. ومن إني أنزف الأكثر كنبع من السمّ يرتوي بسمّه.
وكم أشتهي أن آخذ عطلة منكِ
عطلة منّي أيتها الحياة.
وكم لا أستطيع. وكم كفاكِ وكفاني. وكم أطالبكِ الآن بما لا أجرؤ على أخذه باليد. كم أطالبكِ بغيابي.

وكم استقلتُ ولستُ
وما عدتُ أريد أن أكون.
اللغة سراب
أقول.
هذه القصيدة سراب.
المرأة التي كتبتْها
- تلك المرأة خصوصاً -
سراب.

ما من حقيقيّ إلا الصمت.
كلّ ما بقي ضجيج
لإسكاته.

أنا قصيدتي

قصيدتي مفخّخة بالألغام. ألغامٌ تحت كلماتها. ألغامٌ تحت البياض بين الكلمات. ألغامٌ تحت نقاطها والفواصل. ألغامٌ في لهاثها في عطشها في مكرها في استعجالها في فورانها في قفزاتها في عجرفتها في تأوهاتها في الزبد. ألغامٌ في دورانها حول نفسها قبل لحظة الانقضاض. مزاجها البركان والشرارة. هي لتستأصل لتبتزّ لتوتّر لتُضني لتُسقم لتدمّر لتبيد لتفني.

قبلة الموت قبلتها، قصيدتي، ولا أسلاك شائكة تحميي. كاملاً تستقبلكَ كي تغادرها أشلاء. صحيحاً كي تنفلج. مأثرتها اقتلاع رأسكَ من العنق. وإذا انشطر جذعكَ نصفين انتعظت وقذفت المسموم ماءها في وجهك.
تكفي خطوةٌ ما يكفي احتمال خطوة

تكفي قوّةٌ ما يكفي تهالك القوة
تكفي آهةٌ ما يكفي انخطاف الآهة
بل يكفي ارتشاح نقطة عرق واحدة من المسام
كي تنفجر.

راودها بحذر. مفخّخةٌ بالألغام
قصيدتي.

قصيدتي مسكونة بالوحوش. تزعق الخفافيش في كهفها الحالك وذئابها تسرح في الهضاب. هي الضبع وعروس الضبع. العواء سليقتها الأولى وقمرها قلبها. أزهارها الحرون قوتٌ للعري، وفحيح الوساوس يطلع من بين أعشابها الضارّة. مهجّنة مفترِسة مفترَسة وسمومها جسد الجريمة. لا تقوى إلا على ذاتها. هي الأنثى الأولى وذكورها، تضاجع الأوكار وتتملّق الريح. جلدها كي تغيّره، ريشها المزخرف كي تهدر الألوان، كسلها كي تصعق بالخنصر. طوّافة متهتّكة قاطعة طرق، وكل الطرق إليها.

عواقبها وخيمة، قصيدتي. لا مأمن منها ولا حصن يصدّ الأخطار. تنفث أبخرتها فتحسم الهلع. أنياب الدهاء أنيابها ومخالبها تحفّز النقطة الأخيرة على السطر. جلفة شرسة نجسة، عاهاتها فاجرة وتهوّرها مرتَجل. لا تُروَّض لا تُطوَّع لا تُكبَح. تدجّن دوران الأرض وتعضّ النجوم. متى رأيتها، لا ترتنح لا تستجدِ لا تصطكّ: هي تتوهّج في القسوة. إن لم تستسلمْ لها استبدّت بك،

وإن استسلمتَ استبدّت أشدّ. تحلّق في الذرى وعينها على الكاحل. تصدح تموء تخرخر تنعق تطنّ تنعب تصيح تزمجر. تحكّ تخرمش تجلف تلدغ تلسع تقرض.

وتلتهم.

راودها بحذر. مسكونةٌ بالوحوش

قصيدتي.

قصيدتي مارقة داعرة. تشرّع فخذيها لرغبةٍ كلما طرقت. تشرّعهما، الفخذين، ثم تغمضهما كشِرك. دبق العصافير على شفير فرجها كي يتمرّغ مَن استدرجتهم إلى المكمن. ثدياها صنّارتان وصرخاتها عصير النشوة. تمتطي اللغة فرساً ولا وصول. تسلس ولا عنان. تومض ولا هداية. تجمح ولا سقف. لسانها كي تمتصّ حليب الليل. عثراتها كي تتوالى السقطات. قوّادة نفسها. كلما ضاجعتْ اعتلتْ. كلما اعتلت فحشتْ. كلما فحشت التأمتْ مع خِدرها.

ملطّخة باللعاب والمنيّ، قصيدتي. شيطانها لا يكتفي بالوسوسة بل يغرز أظفاره في اللحم. بين الحلمتين سريرها. تشهق كبركان وتترقرق كمخيّلة. لهفتها تتوسّل الطعنات وأملاحها تفيض عليك. في داخلك تفيض، من حولك، من فوقك ومن التحت: كلما ولجتها أعمق طوّقتك أكثر. هي هنا تتلوّى تحت حديد ضرباتك، وأنت هناك على رأس ضناها تتلوّى. عنبرها الخام يطالب بأن تتنشقّه روحاً بروح

بأن تنظره عيناً بعين

بأن تقبّله شفةً بشفة
وبأن فسقاً بفسق تلحسه.
معها تظلّ على العتبة: بالكاد تشقّ لك الباب.

راودها بحذر. مارقةٌ داعرةٌ
قصيدتي.

قصيدتي حادث سير. تيه عن الطريق. فقدان سيطرةٍ على المقود. خلل في الفرامل. غبش في الرؤية. منعطف لم يكن في الحسبان. صراخ في العدم. انزلاق إلى هاوية. دخول في الحائط. من لا يفقد ذراعاً خلالها، يفقد قلباً. أو حلماً. أو أرضاً. أو كلمة. أو حقاً. أو ناراً. أو القدرة العفوية على الابتسام. مذ تخرج الى ضوئها ترتطم بها. بهوائها ترتطم. بانقطاعك عن مياه رحمها. وبانقطاع حبل سرّتها عنك. ثم بلاوعيها. ثم بالخوف. ثم بمعرفتها. ثم بالوحدة. ثم بشرورها والأوغاد.

حادث سير قصيدتي. ماضٍ يلطم حاضرك. حاضرٌ يدهس مستقبلاً. هكذا دواليك. دواليب زمنها تتسلّى بأسمالك. كلما ظننت دنوت منها، انكسرت مرآتها في وجهك ومزّقتك
فتنقصف اثنين.
جسد يهيم في ظلال هذا العالم. أما الجسد الثاني ففي مكان آخر. دائماً في مكان آخر. مكانها الآخر متاهة. والمتاهة دائرة. والدائرة مغلقة. ولا جدوى من مطاردة زاوية ما. زواياها سرابات فحسب.

ثم تنقصف ثلاثة. فأربعة. فمئة. فما لا نهاية.
عبثاً تحاول جمع القطع اللامتناهية التي تكمل صورتها. فلا اكتمال. بل نقصان فحسب. نقصان ذاهب إلى مزيد من النقصان.
قصيدتي حادث سير، نعم. بل سلسلة حوادث.
أكثرها خطورة؟ ذاك الارتطام المروّع بينك وبينك. ولن تسلم.

راودها بحذر. حادث سيرٍ
قصيدتي.

قصيدتي وتد الشهوات. رجال يشتهون عناقها رجال يشتهون تقبيلها رجال يشتهون ملامستها رجال يشتهون إغواءها رجال يشتهون إرضاءها رجال يشتهون التمدّد عند رِجليها رجال يشتهون اشتهاءها لهم رجال يشتهون التهامها رجال يشتهون ضمّها رجال يشتهون ذبحها رجال يشتهون شمّ عنقها رجال يشتهون الغفوة على وركيها رجال يشتهون مجالستها رجال يشتهون نظرة منها رجال يشتهون مغازلتها رجال يشتهون لعق جرس مهبلها رجال يشتهون عضّ نهدها الأيمن رجال يشتهون مصّ أصابع قدميها رجال يشتهون الاستئثار بها رجال يشتهون مشاركتها مع آخرين رجال يشتهون سجنها رجال يشتهون شدّها من شعرها رَجال يشتهون توسّلها راكعين رجال يشتهون دعوتها إلى فنجان قهوة رجال يشتهون ليلها الماجن رجال يشتهون طيشها رجال يشتهون شغفها رجال يشتهون كراهيتها رجال يشتهون حرقها رجال يشتهون اختراقها رجال يشتهون سكن رأسها رجال يشتهون احتلال قلبها رجال يشتهون هجسها بهم رجال يشتهونها نائمة رجال يشتهونها

جالسة رجال يشتهونها سائرة واقفة حائرة ساهمة عارية
محجوبة راقصة حالمة باسمة غاضبة صامتة حكيمة متهتّكة
ممنوحة متمنّعة
رجالٌ رجال رجال
في قبضة يدها
وهي لا تشتهي سواك
أيها الأرعن في شبقه المبذّر في عطاياها.

راودها بحذر. وتد الشهوات
قصيدتي.

قصيدتي شقيّة مشاكسة. تأتيها من اليمين تطلع لك من اليسار.
ترمي عليها من عل تعاجلك من أسفل. تنفتل تتعرّج تتلوى
وتنزلق من بين أسنانك. لا تهاب الله لا تهاب أحداً. لا تلاطف لا
تجامل لا تعطف. تحمل بندقية على كتفها وفوّهتها أوسع من
عين الكون. أحبّت مرّة رجلاً صار منشاراً كهربائياً. أحبّت موتاً
صار خاتماً من ألماس. أحبّت ثوراً خارت قواه تحت قدميها.
أحبّت ضفيرةً هامت على وجهها الضفيرة.
نشوانة بسيلها الهادر قصيدتي، وتنكّل. يعبق مزاجها بخوراً
وضحكتها تتناثر شظايا في لحمك الطريّ.

راودها بحذر. شقيّةٌ مشاكسةٌ
قصيدتي.

قصيدتي مكسورة جريحة. قلبها كأنه قُطع للتّو من شجرة. جرحها المفتوح أغنية جرحها المفتوح فم جرحها المفتوح بئر جرحها المفتوح جرح مفتوح فحسب. هي تحدس بأن ما كان ليس ما كان يمكن أن يكون ولا هو ما سوف. ترى السرّ- وراء العتمة الرحلة وراء الخطوة القبلة وراء الشفتين وترى ذاتها وراء صورتك عنها. لا تنظر الى الوراء لا تنظر الى الأمام تنظر في نفسها فحسب وتنمو. تغنّي ما لا تسمع وتحفر كل يوم ابتسامةً في لحم فجرك. تحمل قلبها في الراحة ممنوحاً لك كنبع هلوسات. تعرف أنها لا تنتظر زورقاً؛ بل أن هو زورقك ينتظرها.

راودها بحذر. مكسورةٌ جريحةٌ

قصيدتي.

قصيدتي مجنونة بك. هي لا تعرف من أين أتيتها، لكنك أتيت. بلا بشائر. بلا علامات. بلا دخان يلوح في الأفق. ظهرت كغدر مشتهى. كقمر يطلع من تحت أرض. كأنياب تنغرز في عنق على حين غرّة. كزلزال يهدّ جبلاً صدّق أنه جبل.

لا تعرف من أين، أو كيف، أو لماذا، لكنك أتيتها، قصيدتي. من حيث لا تدري هجمتَ والتهمتها. وكلما التهمتَ ازدادت. وكلما ازدادت تماجن جوعكَ. وكلما تماجن جوعك فار زبدها بين الشهقات.

أبطشْ أكثر. اسحق وفتّت واطحن واهصر وافترس. هي تشتهي نفسها خرابَ قصيدة بعدَ خلولك. ثم انهشها جثةً كي تعيدها إلى الحياة.

مضرّجة هي بك. وإن قطعتَ عروقها فستمتصّ منها دماءك.

راودها بحذر. مجنونةٌ بك

قصيدتي.

مفخّخة بالألغام. مسكونة بالوحوش. مارقة داعرة. مروّعة
كحادث سير. رعناء كوتد الشهوات. شقية مشاكسة. مكسورة
جريحة. مجنونة بك.
راودها بحذر
بحذرٍ راودني
فقصيدتي أنا
وأنا
قصيدتي.

أنا وحدي

وحدي كي أكتب للريح
للأعياد عندما تنتهي
للزمن القادم
للزمن الراحل ولا يرحل
للماءِ اذ يتبخّر
لصباحات الخريف الخائبة سلفاً
للأعداء العزّل
للسقوط فعلاً مضارعاً
للقعر لا يتحقق
للحلم مجذوماً من احتماله
للصوت يرنّ في فراغ الرأس
لليقظة المستديرة كفخّ مطبق

للنداء المخنوق في الحجر
لليل في صدر الليل
للعتبة إذ تستجير
للشمع السائل من عينيَّ
للشعلة تعود دخاناً الى الفتيل
للحبّ الذي كصحراء لا تعرفني
للهباء الذي أنت
وحدي
كي أكتب للهباء الذي أنا.

وحدي كي أجنّ وحدي كي أقع وحدي كي أرى الما وراء وحدي كي أترصّد للحبّ وحدي كي أهربه وحدي كي أمنح نفسي وحدي كي لا يملكني أحد وحدي كي أذوق ملحي وحدي كي أذهب وحدي كي أمشي- على البحر فلا أترك أثراً ورائي وحدي كي ألاحقني وحدي كي أدرك قمرهم وحدي كي أنزف وحدي كي لا أفلت منّي وحدي كي أتلذّذ وحدي كي أنبش أغنيتي وحدي كي أغلق الأبواب وحدي كي أفتح سواها وحدي كي أخدش ذاتي وحدي كي أخدش أشدّ وحدي كي أتخلى عن كل شيء وحدي كي أبدأ كل شيء من جديد وحدي كي أدمّر وحدي كي أكتشف الغياب وحدي كي أعذِّب وحدي كي أخفق وحدي كي أتعذّب وحدي كي أدفق وحدي كي أدير الظهر-وحدي كي أستسلم لرماحهم وحدي كي أكون ضارية وحدي كي أتخلى وحدي كي أجازف وحدي كي أحترق وحدي كي أنسى فأظلّ غريبتي وحدي كي أزهر وحدي كي أعيش في اللبّ وحدي كي أسأل ولا جواب وحدي كي أتحدى وحدي كي لا أقاوم وحدي كي أخطئ ضرباتي وحدي كي أفاجئني وحدي كي ألتهم وحدي كي أستحق من يوماً سيلتهمني

وحدي
كي بلا هدف.

وحدي كي أختفي. لا كمن كانت بل كمن لم تكن يوماً. كي أكون الجهد وفشل الجهد. الرضّة وزرقتها. كي تنقض البديهة نفسها. كي من الرماد لا يطلع وعد الرماد. كي أكسر حلقة لا تني تعيدني الى نقطة البداية. كي لا أستيقظ إلا منّي. كي أمشي- القهقرى وألغي ذاتي. كي من طبشور وأمحوني. كي أتهاوى في عدم من دون أن أحرّك وجه المياه.

وحدي
كي إلى تحت
بجلبة أقلّ من حصاة في بحيرة.

وحدي كي وحدي أظل معكم. كي أكـون علامـة. عبـوراً. لامكانـاً. تهديداً. ضياعاً. هاوية. كابوساً. قضيباً. ضوءا في ليل. قبراً. هـدراً. عقوبة. مخالفـة. لحـماً والعظـام. مركـزاً. زاويـة. نافـذة. سـلاحاً. عرشاً.

وحدي كي أكون غلطةً.

كي أكون الغلطة.

وحدي كي أصير طمعي. كي أصير شِعري. كي أصير هوائي في رئـات النـاس والأشـجار، وأحيـا ممتلئـةً بـالمعنى لا يعادلـه معنـى. كي رائحة جسدي أصير. رائحة الأرض بعد مطرٍ أوّل. قبل مطرٍ أوّل. أثناء مطر أوّل. تلك التي أعثر فيها على شذا ضائع مضمر هو لي هو لي.

وحدي

كي

لي.

وحدي كي أسأل. وحدي كي لِمَن هذه اليد؟ لِمَن هذا القلب؟
لِمَن هذا النهد؟ لِمَن هذا اللهاث؟ لِمَن هذه الرحم من نطفة
تصنع شجرة؟ وحدي كي أجيب أن لم يخترعني أحد لم يعجنّي
أحد لم يستخرجني أحد من ضلع لم ينفخني أحد من تراب
جلّ ما في الأمر أني حلمتُ نفسي ذات يوم وخرجتُ منها
إلهةً بلا لحية بيضاء بلا إصبع تؤنّب من علٍ
إلهةً من مطر من دخان من شهقات من لحم ودم وذنوب.

وحدي
لأنّ مَن خلقني لم يُخلَق بعد.

وحدي كي أكون حوض فريدا كاهلو المكسور، وجع مارلين
مونرو المكتوم، جرّة الماء على رأس امرأة أفريقية، الانكسار في
عين طفلٍ يتسوّل، حرقة أمٍّ على ولدها المخطوف، ابتسامات
المجهولين في خلفيات صوري. وحدي كي أعرف لماذا أمي
ولدتني. لماذا سمّتني لماذا أرضعتني لماذا هدهدتني لماذا
كستني. ثم وحدي كي لا أعود أعرف لماذا. لماذا لم تدخل سكيناً
في رحمها (في الشهر الثالث أو الرابع من حملها عندما يتكوّن
عنق الجنين) وتذبحني من الوريد الى الوريد. لماذا لم تتلقفني
من طبيب الولادة لحظة خرجتُ من بطنها، وتخنقني بيديها
الاثنتين.

وحدي
كي لا أعرف ما أعرف.

وحدي
كي لا أكون شيئاً كي لا أكون أحداً
كي أعيش حيوات وحيوات كاذبة
بدلاً من واحدة
لا يُقبَض عليها
أبداً طليقةً
فيَّ.

أنا أمّي

أنا أمّ الطفلة التي كنتُ. ولدتُها كي أقتفي آثار النار في الدخان، وبصمات الجمر في أحلام الرماد. ليلةً وراءَ ليلةٍ علّمتُها وفاء الدمعة للدمعة، غيرة البرق من وميضه، وتوق العتمة الى عين مفتوحة. علّمتُها كلماتٍ لا تدلّ على شيء، وأشياء لا كلمات تدلّ عليها. علّمَتْني، هي، أن الصمت لغةُ الاثنتين.

أنا الأمّ، أمّ الطفلة التي كنتُ. يومياً أغسل ثيابها الصغيرة ثيابها الضاحكة ثيابها الفارغة مني. بعنادٍ أغسل كلَّ فجر وجهَها وشعرها وقامتها، ويغسل غيابُها الطريقَ بيني وبينها. بعنادٍ أجفّف نسيمها والعينين. بعنادٍ أسكب الزيت على نار قلبها
لترى الطريق،
لكنها لا ترى
وليس من طريق.

أنا أمّ الطفلة التي كنتُ: افتقاري إلى طيشها الغافل،
إلى مكرها البريء
إلى كمالها يصغي إلى ذاته.
افتقارها إلى غضبي؛ وخيباتي؛ وأظفاري؛ ومتاهاتي؛ وشهواتي؛
وأكاذيبي؛ وحروبي؛ وندوبي؛ وانحرافاتي.

نعم، أنا الأمّ. أمّ الطفلة التي كنتُ. خرجتْ ذات صباحٍ من
كتب الأطفال وأسلست لظلّها الرحيل. غافلتني واختفت.
لم تفتّت وراءها كسرات خبزٍ تُرشد جوعي إليها.
لكأنّها من طبشور.
من هواء.
من لَعِب.
تحقّقتْ وظلّت.
وقعت ولم ترتطم.
نظر وجهُها في مرآة فرأى وجهَها في مرآة.

أنا أمّ الطفلة الأعلى من حيوان بريّ. الأشدّ غروراً من بئر ملأى.
الأشفّ من خطيئة تجهل أنها خطيئة. طفلة المقارنات الخاسرة.
شبيهة الطفلات جميعهنّ، ولا تشبه نفسها. لن تبلغ لن تنضج
لن تشيب. لن تشتهي لن تُشتَهى لن تمارس الجنس.
التي كأنّها لم تكن
والآن صارت امرأة.
امرأة صارت
في قلب أمّها.

أنا الأمّ. أمّ الطفلة المعجزة. لم يتغيّر قياس فساتينها المعلّقة
أمام عينيَّ كأعواد مشانق. أحذيتها الصغيرة المبعثرة تحت
سرير، لم تتنامَ سنتيمتراً واحداً. لم يزد وزنها أوقية واحدة على
رغم انقضاء الوقت. لم ينبت لها نهدان ولا استرسل شعرها في
الهواء. لم تنتفخ شفتاها ولا سمقت قامتها. لم يتكوّر حوضها
ولا نزفت دماء من بين فخذيها. لم يشتدّ عودها ولا شبّت
أنوثتها في الفرج.

أنا الأمّ، أمّي. جمّدتني الحياة جمّدتْها في برّاد الزمن. لم تكبر. لم تسافر. لم تُخطَف. لم تمت.
فقط توقّفتْ.
توقّفت فقط عن الأحلام.

أنا جرائمي

المسدّس في يدكِ.
الماسورة ملقّمة. الخراطيش متأهبة. سبّابتكِ الناقمة لن تكلّ من الضغط على الزناد.

المسدّس في يدكِ، سواء رأيتِه أم لا.
هو في كل ليل سفكتِه. في كل حلم أرقتِ دماءه. في كل طريق اغتلتِها. في كل كذبة أطلقتِها. في كل كذبة ارتدّت عليك. في كل أمل جرحتِه. في كل شمس أعدمتِها. في كل حب سوف تقتلين.

المسدّس في يدكِ، على الدوام. تذوقين طعم معدنه الساخن على لسانك كلما استيقظتِ. تلعقين فوّهته المتحفزة قبل الذهاب إلى

النوم. تتنشقين بارود رصاصاته وتنتشين اذ تفكرين في حمّام دمه المقبل.

المسدّس في يدكِ، وتناديه:
أيها البغيض الحبيب أيها المجهول المعلوم أيها الغامض الواضح
أيها اللذيذ المضني أيها المرّ السكّري المذاق أيها المُضجر المسلّي
المعزّي أيها الغنيّ الفقير أيها الواحد المتعدد أيها الليليّ النهاريّ
أيها القمريّ الشمسيّ أيها الصيفيّ الشتائيّ أيها الخريفيّ الربيعيّ
أيها الحلميّ الكابوسيّ أيها الواعي اللاواعي أيها الصحراويّ
البحريّ أيها الجبليّ المدينيّ أيها الأنيق الهامشيّ- أيها العاري
الملبّد بالثياب أيها الكريم البخيل أيها المتأفف الراضي أيها
المسالم المحارب أيها الحليف العدوّ أيها الكئيب المبتسم أيها
المسافر المقيم أيها الهارب العائد أيها المرئيّ اللامرئيّ أيها العقلانيّ
المتحلّل من العقل أيها القانع المتطيّر أيها الترابيّ الهوائيّ أيها
الناريّ المائيّ أيها القريب البعيد أيها الماطر المشمس أيها
الكثيف الشفّاف أيها البسيط المعقّد أيها الوجيز المستفيض أيها
الفجر المنتصف ليله في رابعة نهاره أيها الصادق الكاذب أيها الشجريّ الغاباتيّ النورانيّ الماثل في عينيَّ مثلما تمثل المهجة في المهجة يا صنوي عندما لا يعود ثمة صنوٌ يليق.

المسدّس في يدكِ.
سبع جرائم حتى الآن وملّا يشبع:

المرّة الأولى
أطلق ناره على العين التي تتجسس عليكِ. التي تلاحقكِ أنّى ذهبتِ. التي تهزّ إصبعها المستهجِنة في وجهكِ كذيل كلب.

المرّة الثانية
أطلق النار على القلب الذي ينبض في صدركِ. الذي وحده يضعكِ في الطريق. الذي وحده يجعلكِ في الجسد. الذي وحده يمنحكِ هويتكِ. الذي وحده يعطيكِ أن تنامي كي تحلميه وتستيقظيه ثم تناميه من جديد. الذي وحده السبب والمسبّب، الشرط وبرهان الشرط.

الذي وهمٌ يأكل الواقع ويصيّره واقعاً.
الذي لا يزال يبارز، ولا يزال يفوز.

القاتل الحر الذي لا يقع في قبضة العدالة. الذي يكسر الخزائن.
يفتح أبواب الجماجم. يتجول في الأماكن المستحيلة. يضعها
تحت الضوء. يعرّيها. يفلع الليل. والعتمة. يذوّب الكواكب. ثم
لا شيء. ثم كل شيء. ينهب. ويبدّد، مكملاً في الليل طيرانه
السارق،
يوضاسكِ الغاسل يديه من ذاته في النهار التالي.

المرّة الثالثة
أطلق النار على الوجه الذي في مرآتكِ.
وجهكِ
الذي
كغيمة تقع من مطر.

المرّة الرابعة
أطلق النار على الجيم التي في اسمكِ. على جوعكِ. جبنكِ.
جدارك. جبالكِ. جبهتكِ. جحودكِ. جمالكِ. جديلتكِ. جدولكِ.
جذعكِ. جروحكِ. جرفكِ. جسارتكِ. جسدكِ. جشعكِ. جفائكِ.
جلائكِ. جموحكِ. جهلكِ. جهدكِ. جورك. جوابكِ. جوفكِ.
جنازتكِ. جنسكِ. جنونكِ. جناياتكِ. جنودكِ. جيوشكِ. جفنيكِ
جهنمكِ
جهنماتكِ.

المرّة الخامسة
أطلق النار على الآلهة التي اخترعتِها لنفسكِ.
التي أنتِ فريستها، ضحيتها، عدوّتها، هدفها العلني والمضمر.
التي تكابرين فتقولين لا تخافينها.
التي تتوهمين تحاربينها. تتوهمين تهربين منها. تتوهمين
تخفينها. أو تختفين من طريقها. لكن لا مفرّ.

التي كل يوم تخاطبينها، ترينها، تسمعينها، تشمّينها، تتذوّقينها، وتلمسين. التي تحلمينها، وتتخيّلينها، وتهلوسين بها، وتستدعينها، وتتكوبسين بها.

المرّة السادسة

أطلق النار على الطفلة التي تلعب في فناء روحكِ. على الطفلة يتيمتكِ. التي وددتِ أن تكون وديعة لديك. أن تكوني طعامها. أن تكوني مخدّتها. أن تكوني ثيابها. أن تكوني نومها. أن تكوني حلمها. أن تكوني يقظتها. أن تكوني ليلها والنهار. أن تكوني سفرها. وإقامتها. وضحكتها. ونزقها. وقمرها. أن تكوني دموعها وابتساماتها. أن تكوني إشراقة روحها وإغفاءة عينيها.

أن تكوني مقامَرتها الأولى والأخيرة.

المرّة السابعة

أطلق النار على الضوء الذي في رأسكِ.

كي تحبّي كل ما هو ناقص.

كي الناقص

يزداد

فيكِ.

المسدّس في يدكِ، نعم.

يظنّون تصوّبينه عليهم

يظنّون تستهدفينهم.

دعيهم.

لا حاجة بهم أن يعرفوا

أن المسدّس في فمكِ.

لا حاجة بهم أن يعرفوا

أنكِ سفّاحة نفسكِ.

الأنا في الأربعين

أن أكون في الأربعين.
أن أبدأ.
أن أفتح العينين كلّ صباح كأنه صباح أوّل.
أن أرمي نرد النهار كما لو أني سيّدة اللعبة.
أن أرى الصمتَ في رحم كلّ صرخة، الذهابَ في رحم كلّ وصول،
وأن لا أرى الختامَ وراء كلّ باب ينفتح لكي يظلّ ينفتح.
أن أحفر القلق من أجل القلق، لا من أجل نهاية النفق.

أن لا أطيع الوقت أن لا أطيع المكان أن لا أطيع الريح أن لا أطيع الكلام أن لا أطيع المنطق أن لا أطيع الحدود أن لا أطيع النظرات أن لا أطيع الخوف أن لا أطيع التردّد أن لا أطيع الشعور بالذنب أن لا أطيع الضعف أن لا أطيع الترهيب أن لا أطيع الواقع أن لا أطيع اليأس أن لا أطيع الخيبة أن لا أطيع الظلم أن لا أطيع.

أن أرى كي لا أعـود أرى مـا أرى، أن ألمـس كي لا أعـود ألمـس مـا ألمس، أن أعي كي لا أعود أعي أني أعي. أن أرى ألمس أعي أسمع أشـمّ أتـذوّق كي حـواسي لا تعـود هـي الحـواس. أن شـلّالاً مـن شغف أصير كي أتدفق على كتف الحياة وأذهب بالعقل.

أن لا أعود النساء اللواتي أنـا، أن لا أعـود الرجـال الـذين أنـا. أن أعرف لا أعرف ما أعرف. وأن أجهل لا أجهل ما أجهل وما لا. أن لا يعود بيتي هو البيت، ولا الضـوء هـو الضـوء، ولا العتمـة هي العتمة. أن أسلس. أن لا أقاوم، لا أصرخ، لا أعترض، بل أترك نفسي إلى حيث تشـاء. أن عميقـاً عميقـاً في دواخـل الاحـلام إلى أمكنة قصية لا يعرفها الجسد ولا الشـعر ولا الخيـال، وأن معـي قلوبي مفتتحةً العاصفة إلى حيث لا مرفأ.
أن أنتمي إلى غموضي، حيث لا صخب ولا عكسه.
أن يشتعل نـومي أن لا يشـتعل كمثـل ظـلٍّ ينـادي الشـمس كي يكون.

أن أنسى أن لا أنسى أنني كنت هنا للتـو، وأننـي غـادرت لأعـود بعـد قليـل، وأن أرواحـي وأرواح الآخـرين حـارّة عـلى مائـدة جوعي.
أن أولد للتو مع كلّ يقظة ومنها.
أن كلّ صباح أفتح العينين كأنه صباح أوّل،
أن أغمضهما كلّ مساء كأنه ليس المساء الأخير.
أن في الأربعين أبدأني من جديد.

أن أكون في الأربعين.

أن أذهب.

أن أذهب كلّ مرّة أبعد. كلّ مرّة أعمق. كلّ مرّة أقوى. أن أهدر الوقت في الذهاب. ومع الوقت الروح. ومع الروح الأفكار. ومع الأفكار النبض. ومع النبض نوبات الجنون التي تضربني من حيث لا أدري. ومع نوبات الجنون التي تضربني من حيث لا أدري، ذلك الفضاء الهارب المعلّق بيني وبيني.

أن أكتشف وأنسى كي أظل أكتشف. أن آكل وأنسى كي لا أشبع قطّ. أن أشرّع الرأس للمجهول، حقيقتي الوحيدة. أن أقول للسروة التي لم ألتق بها من قبل: يا أختي. أن لا أكتفي. وإذا اكتفيت فبعصفورٍ ذي عينين زرقاوين ينقد فتات الخبز عن طاولتي. أن تنبت لي أصابع جديدة في كلّ بقعة جديدة. وألسنةٌ جديدة ايضاً. وامرأةٌ جديدة خصوصاً...

أن أذهب. أن أسرح بأرواحي الشريدة، المدمنة الترحال، في وعورة الجغرافيا البشرية وتحديات الجغرافيا المدينية وطواعية الجغرافيا الطبيعية، في وجوه الغرباء المطمئِنة وحمرة الريف الخريفية، في لغة المطر الواضحة وكلام الناس الهرمسي، في حاجة العين الى المشهد وحاجة المشهد الى العين. أن أمشي، أعبر، أعلو، أهبط، أتعثّر، أعدو، وأن في جميع أحوالي أشرب العالم بعطش مرعب لا يرتوي إلا من ذاته.

أن أذهب كلّ مرّة أعمق. كلّ مرّة أقوى.

أن بنهمٍ لا يهدّئ من روعه سوى المزيد من النهم، بينما الأرض كرةٌ تتدحرج وتصنع مصائري.

أن في الأربعين أذهب أبعد.

أن أكون في الأربعين.

أن أعشق.

أن يدي لتدير الأرض يدكَ لتدوخ فيها

يدي لتكتب الحكاية يدكَ لترويها

يدي لتفجّر المياه يدكَ لتشربها

يدي لترسم الطريق يدكَ لتمشيها

يدي لتصنع البرق يدكَ لتنصعق

يدي لتنمّي الشجرة يدكَ لتقطف الثمرة.

ثم أن كمثل سهمٍ أظلّ.

كمثل سهمٍ متأهب مشدود حتى يكاد يفرّ، ولا.

كمثل سهمٍ متوتّر لا يلين هنيهةً سوى ليريح ضمير اليدين اللتين ترسلانه.

كمثل سهمٍ جائع يغرز نثرةً منه في كلّ فريسة كي يُطعم الفريسة.

كمثلٍ سهمٍ شرس ينقضّ أعنف. يصل أعلى. ولا يقع.

كمثلٍ سهمٍ شرِه يعبّ الهواء الذي من على شماله، والهواء الذي من على يمينه، والهواء الذي من تحت، والهواء الذي من فوق، حتى يصير سيّد الهواء.

كمثل سهمٍ يبدأ يلتهم يملأ يقتحم يمحو يرتجف يمشي- ويخترع في مسافات الشكّ أقداره.

أن كمثل سهمٍ مراهقٍ لا يغادر القوس إلا ليعود إليها أسرع.

ويبقى.

أن في الأربعين أعشق أشدّ.

أن أكون في الأربعين.

أن أحلم.

أن أقطفها أحلامي حلماً حلماً وأن لا أجمعها لئلا يعتقد القلب أنه سينام عليها. أن أتركها تذهب لئلا تعتقد أني قبضتُ عليها. أن لا أتركها تذهب لئلا تعتقد أن المكان الضيّق لن يتسع لها. أن أنظرها بعيون مغمضة كي تقول أنا عطشى. أن أنظرها بعيون مفتوحة كي لا تقول أنا عطشى- أن أنظرها ولا أنظرها فتدوخ لكي أقول إنها تدوخ بسبب رغباتي. أن لا أسقيها كي تظلّ جديرةً بأن تعطش وبأن أهمّ أسقيها. أن أقطف الأحلام لكي أوهمها أني لأجلي أقطفها.

أن في الأربعين أحلم أعلى.

أن أكون في الأربعين.

أن أواجه.

ألاّ أهرب من شيء ولا من أحد. أن أزعم فقط أنني أهرب منكِ أيتها الذات. أنني أهرب من لا شيء، إلى لا شيء، وصولاً اليكِ. أعني، إليَّ. لكن، عبثاً أذهب بعيداً، عبثاً أذهب قريباً، وعبثاً أهرب، فكلّ ما فيَّ، وكلّ ما حولي، يصلني بكِ أيتها الذات، لأنكِ جسدي وبيت جسدي.

ألاّ أخاف ألاّ أهرب، بل أجيء. أن أهرع الى الخطر كمن يهرع من عاصفة ليحتمي بعاصفة. مرةً واحدةً. وبدون انتهاء. أن أجيء لا احتماءً إنما استزادةً. بل ولوجاً إلى الأعمق الأعمق، وصولاً إلى الفوّهة المفتوحة عَلى المطلق الذي تحت، في الأسفل، حيث المكان الذي يطلع منه الينبوع، وهو لا يُحَدّ، ولا يبدأ، ولا ينتهي.

أن أنزفكِ أيتها الذات كمياهٍ تنزلق من سماء. كمياهٍ لا تكفّ عن الهبوط من الجنّة إلى الجحيم. كمياهٍ إذا لم تنهمر، فإنها تموت في رحمها، وتجعل الرحم عرضةً للعفن والاهتراء. وها هنا السرّ- الذي يفتح الباب، ولا مفرّ من إكمال الطريق. حيث الرحابة هي كالولادة من جديد. كالبصر الذي يتفتح مندهشاً بصعقة الضوء. كأنما للمرة الأولى. وكأنما عن المرّات كلّها. ولا حدود. ولا أمس. ولا غد. حيث يتضح معنى أن أكون أمام كلّ شيء، وأمام الزمن كلّه، وأمام المكان كلّه، وأمام كلّ ما لا يُرى. فكيف أستطيع أن أرى، وأن أتحمّل ما أرى.

ألاّ أخاف ألاّ أخافني ألاّ أخافكِ ألا أهربكِ أيتها الذات. ثم أن بلى. أن أهرب عندما يكون الهرب منكِ بحثاً عن الكلّ. عن كلّكِ. هو الهرب الخادع ليس إلاّ. هربٌ هو قنص للكلّ. هو انتقام النقصان، وثأر الوجود العابر من نفسه، طمعاً باللاحدود. طمعاً بكِ أيتها الذات. طمعاً بما لا ينتهي لأنه لا يبدأ. ولأجل ذلك لا ينتهي. وأنتِ التي لا نهاية لكِ، أهرب اليكِ. في هذا المعنى، لا يكون الهرب هرباً، لأنه التجاء إلى المكان الذي تلتقي فيه الذات أمّها المفقودة.

أن أريدكِ. أن أريدكِ جميعاً أيتها الذات. لأني لا أرتوي. ولأني أنتمي إلى الطبيعة الأولى التي هي الكلّ في الكلّ. هربٌ اليكِ، وفيكِ، وبدوامٍ كامل، وبدون توقف، وبدون كلل. وصولاً، لِمَ لا، إلى الموت... إذا كان فيكِ من موت. أقلّ من ذلك، لا معنى لما أنا. وأحنّ أهرع لكي لا يفوتني أيّ قطار يسافر اليكِ. وهذا طمعٌ لا ينتهي إلاّ بالامتلاك. أن تمتلكيني مرةً واحدةً والى كلّ أبد.

ثم إنصاتٌ فحسب. إنصاتٌ إلى لحظة الدخول اليكِ. وإقامة.

أن في الأربعين أواجهني أقوى.

أن أكون في الأربعين.

أن أكتب.

أن أجلس أمام الشاشة ولا أعرف ماذا. أن أحدّق في نقاط الضوء البيضاء حتى تدمع مني العينان، حتى تهرب مني العينان ورماح العينين من فرط جبني وإرهابها، وأظلّ لا أعرف ماذا. أن أكاد أختنق، وأن، أحياناً، أختنق حقاً. بلا جدوى. الكلمات تتمنّع. الكلمات تقلب شفتيها بازدراء. تدير ظهرها كعشيق غاضب. وأتوقها أكثر، الكلمات، كلما استعرت نيران غضبها الطيّب هذا، غضبها المثير هذا، غضبها الإلهي الذي لا نعمة تفوق نعمته. وأعرف. أعرف وأطلبها، أعرف وأناشدها، أعرف وأناديها بأسمائها التي أجهَل، أركع وأجمع اليدين وبخشوعٍ أترجّى. أعطيني منكِ كفاف يومي أيتها الكلمات... بلا جدوى.

ثم، في اللحظة التي أيأس فيها من إمكان استجابتها صلواتي، في تلك اللحظة المطلقة التي أنهض فيها عن الأرض، أنفض الغبار والأوساخ العالقة عن ركبتيَّ، ألعنها بلا رحمة وأدير أنا لها الظهر؛ في تلك اللحظة الواحدة التي لا يمكن اجتراحها ولا افتعالها (لأن الكلمات تشمّ رائحة الغشّ كما الذئاب)؛ في تلك اللحظة الكاملة، تبتسم كقمر صغير ينمو، وتمنحني نفسها. وأنا، أنا المنهوكة من فرط أوجاعها فيَّ، أنا القتيلة من فرط انتظاري لها، الذائبة في ضعفي وجبروتها، أتلقّاها بجفنين مغمضين كقربان مقدّس، وأروح أكتب.

... أن هكذا كلّ يوم إلى ما لا نهاية.

أن في الأربعين أكتبني أكثر.

أن أكون في الأربعين.

أن أَقلَق أن أُقلِق.

أن لا أوضح شيئاً. أن لا أستوضح. أن لا أقدّم الوعود. أن لا أطلبها. أن لا أقسم. أن لا أفتح طريقاً. أن لا أغلق الطريق. أن لا أمدّ يداً لعبور جسر. أن الجسرَ لا أفخّخه.

أن لا أخيف. لكنْ أن

لا أطمئِن.

ثمة حاجة فقط إلى عتمة، وتكاثف. ثمة حاجة فقط إلى سماء، وتدور. إلى أرض، وتهتزّ. إلى غيمة، وتضيع. والى هواء ربما إلى هواء أجل يأخذها يأخذ العتمة السماء الأرض الغيمة إلى مكانٍ لذيذ. بل ثمة حاجةٌ تأكيداً إلى هواء. اليه يجعلني في المهبّ.

أن لا أوضح شيئاً. أن لا أستوضح. أن لا آخذ الآخر من يده، أو من أنفه، أو من ركبتيه. أن لا آخذ ذاتي من يدها، أو من أنفها، أو من ركبتيها. أن أدع شيئاً من الالتباس ينعش الاحتمال. أن الكثير منه كي تنادي اللمسةُ المقبلة اللمسةَ السابقة.

أن لا أفتح طريقاً. أن لا أغلق. وأن إذا أردتُ نوماً فلا أنام. وإذا يقظةً أردتُ فلا.

وإذا يقيناً

فمن حلمٍ فحسب.

أن في الأربعين أحترف القلق.

أن أكون في الأربعين.

أن أتهوّر.

أن أخرج من الصفّ. أن أعانق طيشي- أن أفعل أشياء لا تُفعَل في العادة. أن أفعل ما يذهب بي الى الجهة الأخرى من الليل. لكي هذا الذي يمتنع، يخرَّ صريعاً وسريعاً. لكي هذا الذي يقول لا، يقولَ نعم. لكي هذا الذي يستحيل، يصبحَ ممكناً. وبالطيش يكون ذلك لا بغيره. بضرب جدار العقل. بمحوه. بجعله النهر والسهل والحلم. وبالجنون يكون ذلك. وبالشعر. وبالحب عندما الحب يتأرجح على حبل، فيصير هو الحبل.

أن قليلاً أخرج وكثيراً وأكثر. أن ألعب. أن أتلاعب. أن أرقّص وأرقص. أن لا وصفة تنفع. ولا دواء. لا حكمة. ولا ترياق. بل سمّ الطيش الذي يرتشف ذاته ويروّضها وصولاً الى ذاته الثانية والثالثة والرابعة و. الى حيث العدد هو اللاعدد.

أن لا ينفع الحذر. ولا المنطق. ولا جمع الأضداد. ولا التفريق بينها.

إذا ترددتُ خفتُ، وإذا خفتُ رضختُ، وإذا رضختُ اختنقتُ، وإذا اختنقتُ أدميتُ، وإذا أدميتُ اعتذرتُ، واذا اعتذرتُ عدتُ إلى الصفّ.

قليلاً إذاً. وكثيراً. وأكثر.

الآن، قبل غد. غداً، قبلَ بعدِ غد...

أن في الأربعين (دائماً؟) أتهوّر.

أن أكون في الأربعين.

أن أطمع.

أن كلّ شيء أريد.

أن لا أكتفي بالهواء لأتنفّس. أن هذا الهواء كلّه لا يكفي رئاتي تنفتح على قعر لا قعر له، وعلى جهات لا جهات لها.

أن لا أكتفي بالقلب لأحبّ.

أن لا أكتفي بالجسد لأضاجع.

أن لا أكتفي بالرأس لأحلم.

أن أصير مَن صرت مَن لم أصر ومَن سوف. أن أشتهي ما أشتهي وما لم. أن آخذ ما أحببتِ أنِ آخذ وما لا.

أن كلّ شيء أريد.

أن في الأربعين لا أريد شيئاً.

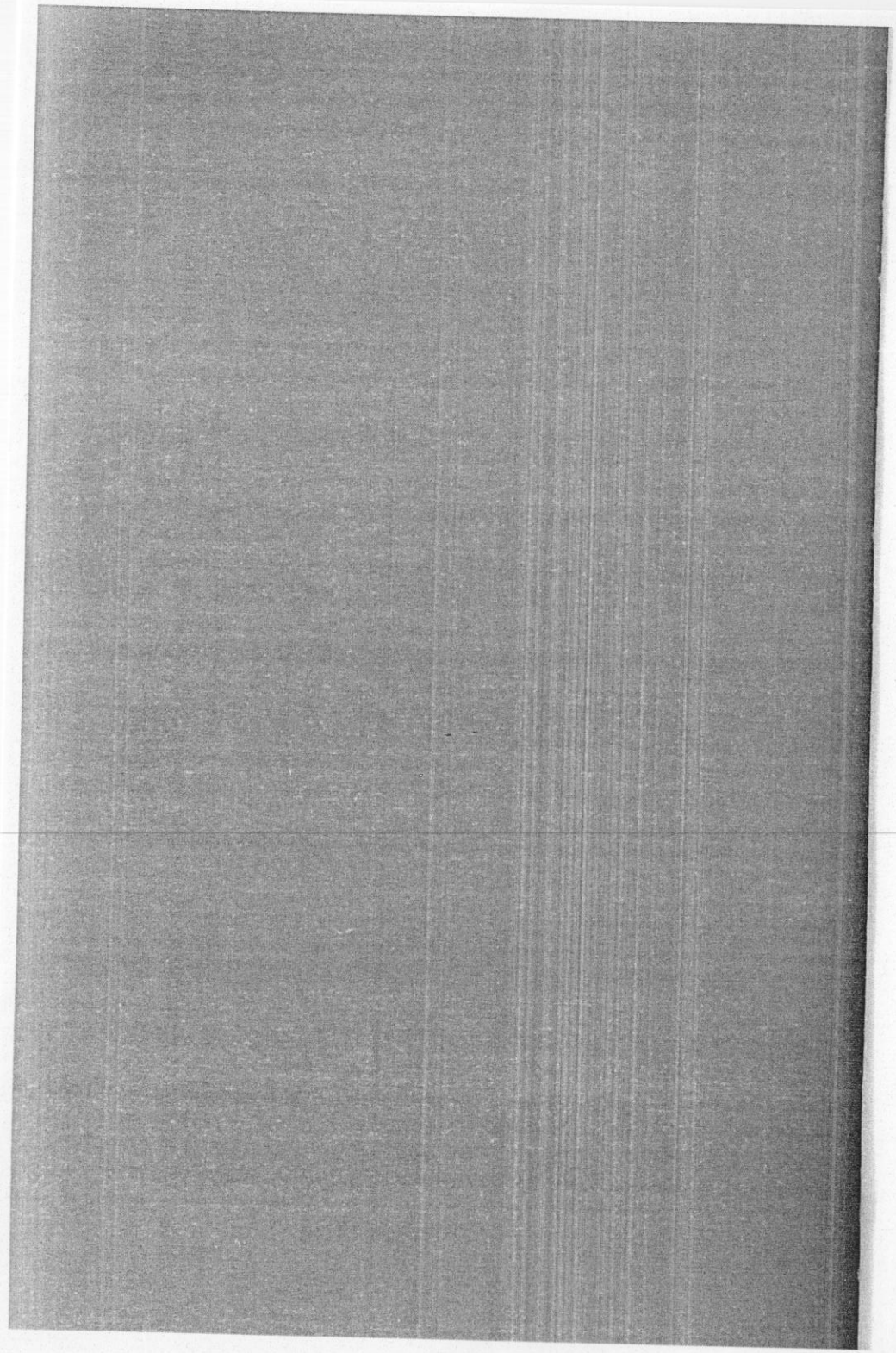

أن أكون في الأربعين.
أن أُولدني.
أن أحبّني أن أغنّيني أن أموسقني أن أرقصني أن أنامني أن أحلمني أن أسافرني أن أستيقظني أن أدلّلني أن أطرّزني أن أبتسمني أن أزرعني أن أحصدني أن أذرّيني أن أجمعني أن أبدّدني أن أشربني أن آكلني أن أغيّمني أن أشمّسني أن أشتّيني أن أصيّفني أن أطيّرني أن أحطّني أن أُصعِدني أن أُنزّلني أن أشجّرني أن أقطفني أن أكثّرني أن أكلّلني أن أؤلّهني أن أعبدني
أن في الأربعين أُولدني أعمق أعمق.

أن أكون في الأربعين.
أن وحدي.
أن في الأربعين وحدي
وأحدُث.